

ماذا نعرف عن حضارة دلمون من خلال المكتشفات الأثرية في مملكة البحرين

د. عبدالعزيز علي إبراهيم صويلح*

الملخص:

تتميز شواطئ الخليج العربي الغربية بإمكانية قيام مستوطنات فيها لعدم وجود موانع بين الساحل واليابسة، وقد أتاحت هذه الخاصية قيام عدة مراكز منذ أقدم العصور، بحيث طورت قدراتها وإمكاناتها مستفيدة من البحر وشؤونه، ومنها مستوطنات ساحلية وأخرى على الجزر المنتثرة على مقربة من الساحل، حيث كشفت عنها التنقيبات في المنطقة المحصورة ما بين حدود الكويت شمالاً وساحل دولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان جنوباً، ويعود الكثير من هذه المستوطنات إلى العصر الحجري الحديث.

ولقد كشفت أعمال التنقيب والحفر الأثري بأن الإنسان في هذه المنطقة استغل وبشكل صحيح ما وفرته البيئة من إمكانيات الاستقرار، فالمستوطنات المكتشفة قرب السواحل كان قاطنوها يبنون بيوتهم بمادة قابلة للاندثار والتلف، وربما من سعف النخيل والتي تشبه ما يعرف اليوم بالعرائش أو العرشان، ومارسوا مهنة ركوب البحر والغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك، أما أولئك الذين كانوا يقطنون قرب منابع المياه فقد مارسوا الزراعة مع بساطتها، كما أنهم اشتغلوا بالتجارة وبرعوا فيها فأنشئوا لها موانئ بحرية، أصبحت مركزاً لتوزيع السلع التجارية بين جنوب بلاد الرافدين وحتى وادي السند على طول الخط التجاري البحري، ومن أشهر تلك المراكز التجارية والتي ذكرت في الكثير من النصوص السومرية والأكدية خلال فترة منتصف الألف الثالث وحتى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، مركز حضارة دلمون (Dilmu)، ويعتقد عدد كبير من الباحثين جازمين بأن جزر مملكة البحرين والبر المقابل لها هي في الواقع مركز حضارة دلمون.

وسوف أسلط الضوء من خلال هذه الورقة على ما تم معرفته حول حضارة دلمون وأصحابها وإسهامها في الحضارة الإنسانية اعتماداً على ما تم اكتشافه من معالم ولقى أثرية تركها لنا أصحابها، وبالتحديد في مملكة البحرين، والتي استعان بها الباحثون والمهتمون بالحضارات القديمة للتعرف على الحضارة الدلمونية على اعتبار كون مملكة البحرين مركزاً رئيسياً من مراكز مدن هذه الحضارة، حسبما أكدته نتائج أعمال التنقيبات والاكتشافات الأثرية.

* محاضر بجامعة البحرين والجامعات الخاصة بمملكة البحرين، سابقاً مراقب عمليات البحث والتنقيب بمملكة البحرين.

يعتمد علم التاريخ بالنسبة لفترات ما قبل التاريخ التي لم يعرف أهلها الكتابة، على ما تحمله المواد الأثرية عبر الزمن من مؤشرات على حضارة عصرها وأساليب الحياة فيها، ومن وجهة ثانية، على ما تكشفه الحفريات المختلفة فيما يخص فنون البناء وطقوس الدفن والعبادة والآلهة ورموزها ومعابدها ومهارات هندسة البناء وأساليب الصيد وأنواع الأكل والشرب،،،، إلخ.

وبعض النظر عن أنواع الآثار والحفريات واتساع المعلومات التي تقدمها وجدّتها وأهميتها لا يمكن للمؤرخ المعاصر أن يمارس مهنته بجدية وعلمية دون أن يستثير معطيات ما تقدمه له أعمال التنقيبات والحفريات الأثرية المستمرة، وأن يعيد النظر باستمرار في المعلومات التاريخية السابقة لتلك التنقيبات الأثرية. ولا يعني ذلك طبعاً أن كل ما يستنتج من التنقيبات الأثرية هو صحيح ومطابق لحقيقة ما كان يجري فعلاً على أرض الواقع، وإنما قد يعني أن ما أبرزته أعمال التنقيبات الأثرية هو أحد أعراض الواقع المعاش حينذاك، على الرغم مما يمكن أن يكون قد خضع له بدليل ما حواه من عناصر سمحت له بالتميز ومقاومة الزمن من عمليات اجتزاء أو تزيين أو انتقاء أو تضخيم،،،، إلخ.

وليس في هذه العمليات التحويرية للحدث ما يقلق المؤرخ أو ينفره من الرجوع إلى ما تكشفه التنقيبات الأثرية بل على العكس من ذلك، ينكب المؤرخ على ما ينشره فريق التنقيب حول الظاهرة أو العادة أو أسلوب الحياة أو المعرفة أو المهارة محاولاً تحديد المنظور الذي منه سلطت الأضواء على الحدث المذكور، ومن ثم يعمل المؤرخ بالتعاون مع عالم الآثار على مقارنة نتائج حفريات فرقة ما بما توصلت إليه أعمال التنقيبات الأثرية التي نفذتها فرقة أخرى حول الحقبه عينها محاولاً اكتشاف أكبر عدد ممكن من التقاطعات التي تؤكد المعلومة وتثبت صحة ما تُوصل إليه من نتائج حول الظاهرة موضوع الدراسة التي يمكن أن ترشده إلى مفاتيح الحضارة التي كانت سائدة، وإلى تركيبة موازين القوى السياسية أو الإمكانيات والظروف الاقتصادية الفاعلة التي أدت إلى ذلك الحدث.

من هنا، يُرى أن عنوان البحث يطرح بطريقة غير مباشرة إلى جانب هاجسه الأساسي والعلني، قضايا ضمنية أخرى لا تقل أهمية عن موضوع اهتمامه الأول. وبعض هذه القضايا ما يزال يثير جدلاً كبيراً في أوساط المهتمين بالعلوم الإنسانية، فإذا كانت القضية الكبرى بالنسبة للبحث الحالي؛ هي معرفة ما تم التوصل إليه من حقائق حول الدلمونيين أنفسهم وطرق تكيفهم مع البيئة التي استقروا فيها من خلال رصد الإضافات المعرفية التي أتت بها أعمال التنقيبات الأثرية في مملكة البحرين حول حضارة دلمون والتي مورست خلال نصف قرن على أرض المملكة؛ فإن من القضايا الأخرى التي قد تنبثق بصورة طبيعية عن عمليات الرصد المذكورة، نذكر قضية التاريخ وموضوعيته من جهة؛ وقضية وثوقية ومصداقية مصادر المعلومات التي يستند إليها المؤرخ وعالم الآثار من أجل إعادة تركيب الحقيقة، ورسم تصور

شبه متكامل لنسق دورة العمل الخاصة بالمجتمع أو بالمؤسسة التي تهمة من جهة أخرى.

ومن ضمن هذا السياق، تبرز أسئلة عديدة منها مثلاً: هل ما توصلنا إليه حالياً وما سنعرضه من خلال هذا البحث حول ما نعرفه عن حضارة دلمون من خلال المكتشفات الأثرية في مملكة البحرين، مطابق فعلاً لما كانت عليه حياة الناس في الحقبة الزمنية المدروسة؟ أم هل الإضافات التي قدمتها نتائج أعمال التنقيبات الأثرية تتناول عناصر أساسية تُغيّر في جوهر المعرفة التاريخية الأساسية حول هذه الحقبة المدروسة؟ أم إنها مجرد تفصيلات تضيء بعض المساحات الخارجية التي لا تمس الأساسيات؟

ومهما كانت الأجوبة عن هذه التساؤلات، تبقى العناصر المعرفية الجديدة التي أتت بها أعمال التنقيبات الأثرية المختلفة التي نفذت في المواقع الأثرية بمملكة البحرين - بغض النظر عن نوعها وكمها وعمقها - إحدى الإضافات الضرورية لاستكمال معرفتنا بحضارة دلمون.

علاقة دلمون بمملكة البحرين:

مما لا شك فيه لدى الباحثين والمهتمين بتاريخ منطقة الخليج العربي أن جزر مملكة البحرين قد شهدت حضارة متقدمة عرفت باسم حضارة دلمون، عاصرت حضارات الشرق الأدنى القديم الكبرى، مثل حضارات وادي الرافدين ووادي النيل ووادي السند. وقد تواصلت مع تلك الحضارات اقتصادياً وسياسياً ودينيًا وفكريًا وحققت الكثير من الإنجازات، وكان لها دور متميز وفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية خلال الفترة الممتدة ما بين الألف الثالثة ونهاية الألف الأول قبل الميلاد.

وكان العلامة "هنري رولنسون" (Henry Rolinson) الذي يرجع إليه الفضل في فك رموز الخط المسماري، أول من أشار إلى أن جزيرة البحرين (كبرى جزر مملكة البحرين)، يمكن أن تكون أرض دلمون المقدسة التي وردت في الكتابات المسمارية الرافدينية، وقد بنى نظريته هذه على أساس الكتابة المسمارية التي وجدت منقوشة على قطعة من حجر البازلت الأسود، عثر عليها الكابتن "ديوران" (Durand)^١ في بلاد القديم بمملكة البحرين سنة 1879م وكانت مستخدمة ضمن حجارة أساسات أحد المساجد. فقد ورد في هذا النص اسم الإله (أنزك) إله دلمون مقترناً بمنطقة أو قبيلة (أجاروم). وقراءة هذا النص كالتالي:

^١ كان ديوران أول مساعد ملحق بهيئة المقيم السياسي لبريطانيا الذي كان يتخذ من بوشهر الواقعة على ساحل إيران الجنوبي مقراً له، وقد حل بمملكة البحرين سنة 1879م وقام بعمل مسح ميداني لمعظم مناطق جزر المملكة بغية التعرف على المواقع والمعالم الأثرية وأعد تقريراً حول نشاطه.

E-GAL	قصر
RI - MU - UM	ريموم
IN - ZA - AK - IR	خادم أنزاك
SHA - A - GA - RU M	من قبيلة جاروم

وترجمته: قصر ريموم خادم الإله "أنزاك" من قبيلة أجاروم.

وعلى جانب النص توجد نقشه لسعفة نخلة وهي تمثل شعار الإله أنزاك كما وضح من دراسات تمت حول رموز الآلهة التي لها علاقة ببلاد الرافدين. ويشير "رولنسون" في تعليقه على هذا النص بأن الإله "أنزاك" من خلال مصدر آخر هو الاسم البابلي للإله السومري "نابو" (NABU) الذي أوضحت نقوش مسمارية أخرى أنه كان يعبد في دلمون، وعليه فإنه يرى بأن مملكة البحرين هي المقصودة بدلمون المشار إليها في كتابات بلاد الرافدين المسمارية (لوحة 1).

ولقد كشفت أعمال التنقيبات الأثرية في دول مجلس التعاون العربية بأن رقعة دلمون الجغرافية اتسعت منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، حيث تم اكتشاف مواقع تنتمي ثقافياً لهذه الحضارة في جزيرة فيلكا بدولة الكويت وتاروت والظهران بالمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية، كما اكتشفت مواقع في دولة قطر على الشاطئ الشمالي الشرقي من منطقة الخور حيث عثرت البعثة الفرنسية على موقع يحوي بقايا لجران وموقد تناثرت حوله كسر فخارية دلمونية من النوع المعروف بفخار باربار، وعلى الجانب المقابل للشاطئ الغربي وفي موقع رأس أبروق^٢ (لوحة ٢). وهذه الاكتشافات ترجح لدينا صحة ما ذهبت إليه بعض المصادر، من أن حدود دلمون الجغرافية خلال هذه الفترة الزمنية شملت الشريط الساحلي الشرقي للجزيرة العربية الممتدة من البصرة شمالاً إلى حدود سلطنة عمان جنوباً، بما في ذلك الجزر القريبة من هذا الساحل وفي مقدمتها جزيرة البحرين وفيلكا وجزيرة تاروت^٣.

الدور الحضاري للدلمونيين:

لعب سكان دلمون دوراً حضارياً على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية في مسرح الأحداث الحضارية لحضارات الشرق الأدنى القديم أكدتها النصوص

^٢ آل ثاني هيا علي جاسم: الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ (صلات دلمون بأمورو وبالأموريين) 2050-1530 ق. م، مركز الكتاب للنشر - القاهرة، 1997، ص. 142.
^٣ الصفدي هشام وآخرون: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، 1988، ص. 76-77؛ وأيضاً، البدر سليمان سعدون: منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، مطبعة الحكومة، الكويت، 1974، ص. 112 - 113.

المسمارية التي اكتشف أقدمها في مدينة "الوركاء" السومرية والتي تؤرخ بحوالي 3200 ق.م إضافة للمكتشفات الأثرية المختلفة. حيث أكسب الموقع الاستراتيجي لمملكة البحرين خلال الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، وذلك لوقوعها على طريق التجارة البحرية الرئيسية التي كانت تربط المراكز الحضارية الكبرى في وادي الرافدين وميلوخوا (حضارة وادي السند) ومجان(حضارة سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة) و عيلام (حضارة إيران القديمة)؛ في أن تصبح وسيطاً تجارياً بين تلك المراكز في تبادل مختلف السلع والبضائع المستوردة من جانب والمنتجة محلياً من جانب آخر، والتي كان من أهمها وسبباً لشهرتها العالمية في التجارة الدولية الغوص على اللؤلؤ واستخراجه والمتاجرة به كسلعة ذات قيمة متميزة في تلك الفترة حيث شكل اللؤلؤ الدلموني على طول التاريخ القديم وصولاً إلى التاريخ الحديث وحتى قبيل اكتشاف النفط في مناطق نفوذ دلمون أهمية كبيرة في اقتصاد دلمون والمنطقة بشكل عام إذ تفاخر الملوك والحكام باستيرادهم له من دلمون.

كما لعب الموقع الإستراتيجي لمملكة البحرين دوراً في ظهور التجمعات العمرانية الاستيطانية في المناطق الخصبة؛ ولاسيما على الشاطئ الشمالي والغربي لجزيرة البحرين(كبرى جزر المملكة)، فقد اكتشفت معالم أطلال ست مدن دلمونية، كذلك اكتشفت مدن دلمونية أخرى في مواقع سار والناصرية ودراز وباربار.

ولقد اكتسبت تلك المدن شهرة كبيرة عالمياً، باعتبارها مصدراً رئيساً لتجارة اللؤلؤ، حيث ساعدت شواطئ مملكة البحرين الضحلة، وتوفر عيون الماء العذبة في قاع بحرهما على تكاثر المحار الحامل للؤلؤ، الذي كان البحرينيون ومنذ عصر دلمون على أقل تقدير يمتنون الغوص على اللؤلؤ لاستخراجه من قاع البحر والاتجار باللؤلؤ المستخرج منه؛ فحققوا من وراء ذلك أرباحاً كبيرة. وتعتبر لآلئ مملكة البحرين من أحسن أنواع اللآلئ في العالم، وقد ورد ذكر صيدها واستخراجها في نص آشوري كتب بالمسمارية حيث كانت تسمى(عيون السمك)^٤. ويذكر المؤرخ " بليني القديم(الشيخ)" بأن جزيرة تايلوس(وهو مسمى جزيرة البحرين في الفترة الكلاسيكية) كانت مشهورة بسبب كثرة لآلئها.

لقد خُلد دور دلمون الحضاري من خلال مدونات بلاد وادي الرافدين المتمثلة في الكثير من الكتابات المسمارية التي اكتشفت في مدنها الحضارية المشهورة؛ مثل

^٤ نجم محمد يوسف: الثقافة في البحرين في ثلاثة عقود مسح ثقافي شامل لدولة البحرين 1961 - 1991م، المطبعة الحكومية، البحرين، 1993، ص ص. 11 - 15.

⁵ Pliny: **Natural History**, Books I – IX translated by H. Rackham. London, 1938, and Books X – translated by J. Bostock, And H. T . Riley, London, 1855 – 57.

مدينة أور ولجش وكيش ونينوى وغيرها، فضلاً عما أوضحتها مكتشفات المواقع الأثرية البحرينية من أدلة معمارية وفنية أكدت الأهمية الحقيقية لها.

وقد استنتج من الكتابات التي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد أن جنوب العراق كان أهلاً بالمستوطنين السومريين ومن بعدهم الأكديين الذين كانوا مرتبطين مع الدلمونيين بعلاقات تبادل تجاري تمثل في الكثير من السلع التي كانت تنقلها أساطيل السفن الدلمونية إلى بلاد وادي الرافدين. ومن أبرزها ما كانت تستورده هذه السفن من مراكز حضارة بلاد وادي السند " هارابا (Harappa) وموهنجدارو (Mohenjodaro) ^٦، ومن أهمها الأحجار الكريمة والأخشاب والذهب والعاج والنحاس الذي كان يعتبر من أهم البضائع لسكان وادي الرافدين. وفي ذات الوقت كانت بلاد الرافدين تصدر إلى دلمون الأصواف والجلود والزيوت النباتية والمنسوجات الفظنية والصوفية. ونستنتج من تلك النصوص أيضاً أن السومريين أقاموا علاقات تجارية واسعة من خلال الدلمونيين وبالتعاون معهم مع تلك المراكز الحضارية السندية ^٧.

وعلى الرغم من دور دلمون الحضاري والذي أكدته النصوص المسمارية التي تم اكتشاف أقدمها في مدينة "الوركاء" السومرية، إلا أن الكثير من دارسي هذه الحضارة يرون أن عصر دلمون الذهبي يمتد من 2200 ق.م إلى 1600 ق.م، وبعدها تبدأ فترة أقول تدريجي لحضارة دلمون. حيث مرت حضارة دلمون عبر تاريخ وجودها وتواصلها مع الحضارات الأخرى بثلاث مراحل عكست كل مرحلة منها طبيعة وحجم تأثير تلك المراكز الحضارية عليها والتي تواصلت وارتبطت معها بعلاقات تجارية في المقام الأول. وهذه المراحل هي:

الأولى: تمتد من 2200 ق.م إلى 2000 ق.م، وهي فترة ظهرت فيها تأثيرات واضحة لحضارة وادي السند، عكست علاقات قوية مع مراكزها الحضارية.

الثانية: تمتد من نحو 2000 ق.م إلى 1800 ق.م، ظهرت فيها تأثيرات واضحة لحضارة وادي الرافدين، عكست علاقات قوية مع مراكزها الحضارية.

^٦ مدينتا هارابا - HARAPPA وموهنجدارو - MOHENJODARO: أهم مدينتين ازدهرت فيهما مظاهر حضارة وادي السند، أو كما تسمى أحياناً حضارة حارابا، التي ظهرت في الفترة ما بين 2300-1750 ق.م، وتقع كلا المدينتين على نهر السند، وتبعد مدينة هارابا التي تقع إلى الشمال من مدينة موهنجودارو بحوالي 400 ميل. للمزيد أنظر:

FAIRSERVIS, W. J. MARSHALL, G. in . DALES: *Ancient Cities of The Indus*. Possehl, New Delhi, 1979. pp. 66. 86. 66.89.181-86,307-12.

^٧ الشال محمود النبوي وآخرون: *التذوق وتاريخ الفن التشكيلي في العصور القديمة*، وزارة الإعلام، دولة البحرين 1981، ص. 145؛ وأيضاً، آل ثاني هيا علي جاسم، المرجع السابق، ص. 53 - 60؛ وأيضاً الصفدي هشام وآخرون: المرجع السابق، 1988، ص. 80 - 81.

الثالثة: تمتد من 1800 ق.م إلى 1600 ق.م، فقد بدأ مركز حضارة دلمون في جزيرة فيلكا بدولة الكويت باحتلال موقع متقدم أكثر من مراكزها في مملكة البحرين موطن المنشأ لهذه الحضارة^٨.

المكتشفات الأثرية:

لقد أبرزت الاكتشافات الأثرية في مملكة البحرين الكثير من الأدلة التي يمكن أن تتوافق مع ذكر دلمون وأهميتها التجارية ومكانتها المقدسة، كما أشارت إلى ذلك النصوص المسماة المكتشفة في بلاد الرافدين، والتي يمكن من خلالها التعرف على الشعب الدلموني.

فعلى ضوء ما أشارت إليه النصوص المسماة المكتشفة في بلاد الرافدين وغيرها من المراكز الحضارية التي تعامل معها الدلمونيين في مجال التبادل التجاري، نستدل على أن المصالح التجارية قد دفعت تجار تلك المناطق من تعزيزها، حيث تطلب الأمر أن يستقر أعداد من تجار تلك المناطق في الجانب الآخر لرعاية المصالح التجارية ومتابعتها، ومما يدعم ذلك العثور على ثمانية أختام دلمونية في مدينة أور تعود لتجار دلمونيين، كما عثر مواقع حضارة وادي السند في (هارابا وموهنجدارو ولوثال) على أختام دلمونية. وتبين تلك الأختام الدور المهم الذي لعبته دلمون في التجارة الدولية مع تلك المراكز الحضارية، وتعتبر دليلاً واضحاً على إقامة بعض الدلمونيين فيها لأغراض تنسيق التعاملات التجارية مع التجار الدلمونيين وتجار تلك المناطق وتسويق البضائع الدلمونية.

ومما يؤكد استخدام تلك الأختام في المعاملات التجارية النص الذي عثر عليه في مدينة "أور"، وهو عبارة عن عقد تجاري لتصدير الصوف والقمح والزبيب إلى دلمون يعود تاريخه إلى سنة 1923 قبل الميلاد وقد ختم بواسطة ختم لتاجر دلموني، الأمر الذي يشير إلى وجود صلات تجارية بين تجار "أور" ودلمون حيث كان التاجر صاحب الختم يمثل مصالحها.

وتتأكد الصلات التجارية من جانب آخر ومهم بين دلمون و"إبلا" من خلال الإشارة إلى (الشيقل الدلموني) الذي كان معتمداً في المعاملات التجارية في "إبلا" والذي تبلغ زنته 8,416 جرام وميزانه يسمى بالشاقول. ومما له أهمية بخصوص هذا الوزن أن الدراسات التي سعت لمعرفة التفاصيل القياسية لهذا الوزن وعلاقتها بالشيقل المعروف في بلاد وادي الرافدين، توصلت إلى أن الشيقل الدلموني كان أيضاً وحدة القياس المشتركة لكل من "مجان وميلوخا" (حضارة عمان القديمة وحضارة وادي السند)، ولكن بسبب شهرة دلمون ومكانتها في سوق الاقتصاد والتجارة الحرة الدولية

⁸HOJLUND F.; " The Ethnic Composition Of the Population Of Dilmon ", Seminar for Arabian Studies, Vol. 23, 1993,pp. 1 – 8.

في كل من مدن بلاد الرافدين و"إبلا" فإنهم نسبوه إلى دلمون وليس لأي مركز آخر من بلاد الرافدين أو مجان أو ميلوखा. وهذا يعني أن دلمون لعبت من خلال مركزها دورًا بارزًا و متميزًا في سوق التجارة العالمي.

وهكذا نرى بأن تجار دلمون كانوا يقطعون العالم المعروف في عهدهم شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، يجلبون البضائع من البلاد البعيدة ويتاجرون بها في بلاد أخرى أو يودعونها مخازنهم لتكون تحت طلب من يطلبها، وكانت سفنهم تخر البحر وبلادهم تعج بالتجار من مختلف الأجناس والثقافات، فالقادمون إليها لم يكونوا يحملون بضائعهم فقط لكي تسوق في دلمون بل يحملون أيضًا ثقافتهم ومعتقداتهم وفنونهم التي لا بد وأن تركت تأثيرًا كبيرًا على سكان دلمون، ويرجع ذلك لكون التجار كانت تفرض عليهم طبيعة عملهم المكوث في دلمون لفترة ليست بالقصيرة لتصريف بضائعهم، فهم إذا ليسوا عابري طريق جاءوا لتزويد سفنهم بما تحتاج إليه من زاد وغير ذلك بقدر ما كانوا يجنحون إلى الاستقرار مع السكان الأصليين مستفيدين من الإمكانيات التجارية المتاحة.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن مملكة البحرين كانت خلال فترة دلمون بوتقة لصهر الأجناس والثقافات والأفكار القادمة مع البضائع لتخرج بعد ذلك بثوب جديد وتنتشر في المناطق التي وصلت إليها التجارة الدلمونية، فهي تستقبل التجار ورجال الأعمال والسفن التجارية من مختلف الجهات وخاصة من بلاد الرافدين ووادي السند وإيران وجزيرة العرب ومراكز حضارة سورية، كل هؤلاء جميعًا يفدون إليها ويستقر بعضهم فيها ربما استقرارًا شبه دائم حتى تنتهي مهمتهم التجارية عزابًا أو مع أسرهم أو يتزوجون من أهلها ويجنحون إلى الإقامة الدائمة على أرضها.

ولا بد أن تكون لهؤلاء التجار وكالات ومكاتب تجارية تبرم لهم العقود وتعد الصفقات، مع كل ما يتطلبه ذلك من نظم المحاسبة وقواعد النقل البحري والتأمينات والتعويضات إلى غير ذلك مما تتطلبه المعاملات في البر والبحر. ولا شك أن المدن الدلمونية التي نشأة في الجزر أو على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية كانت تتمتع بتسهيلات جمركية كبيرة ووجود ميناء لكل منها لاستقبال السفن التجارية وما تحمله من بضائع، ولا بد من وجود مخازن تستوعب البضائع المحلية المعدة للتصدير والأجنبية لتسويق المحلي والتصدير لأسواق المراكز الحضارية الأخرى، بالإضافة لوجود مستقرات على شكل خانات لإقامة التجار وتوفير مواد الإعاشة لهم خلال فترة إقامتهم في دلمون.

ومما عثر عليه في موقع قلعة البحرين الأثري وفي الطبقات الأثرية التي تعود للمدينة الثانية مجموعة من الأوزان السندية والتي عثر على ما يشابهها في مدينة سار، كما عثر على أوزان رافدينية في مواقع أخرى. وهذه الاكتشافات تدل على العلاقات التجارية الوثيقة التي كانت تربط بين مدن وادي السند وبلاد الرافدين

ودلمون، كما أن ذلك مؤشر على وجود تجار من تلك المناطق مقيمين في دلمون أو وكلاء عنهم كانت بحوزتهم تلك الأوزان لإجراء المعادلة بينها وبين الأوزان الدلمونية والتي هي أكبر بمقدار خمسة أضعاف من الأوزان السندية، ولا شك أن وجودها في دلمون جنباً إلى جنب مع الأوزان الدلمونية كان يهدف إلى تسهيل عمليات التبادل التجاري وضبط عملية المحاسبة بعد تقويم السلعة بموازين أحد الجانبين وتحويلها إلى موازين الجانب الآخر (لوحه ٣).

معلم الحضارة الدلمونية بمملكة البحرين:

إن الإمكانات الطبيعية التي هيأت الظروف لقيام حضارة دلمون والتي نعتقد بأنها كانت على شكل حكومات مدن على غرار المدن السومرية خلال الألف الثالث قبل الميلاد، حيث لم تكن هناك أنهار كبيرة تساعد في نشأة العمران على ضفافها وتكوين حكومة مطلقة (تدير الساحل والجزر التي شملها مسمى دلمون) كما هو حاصل في مراكز الحضارات الكبرى في العالم القديم كحضارة بلاد الرافدين ووادي السند والنيل، وعليه نعتقد بأنه كان على كل مدينة دلمونية ملك أو رئيس يدير شؤون الجماعة الدينية والسياسية والتجارية، وإن ورد في بعض النصوص إشارة لأسماء ملوك دلمون كالمملك "أوبيري" فإن المقصود بها هنا أحد ملوك تلك المدن الدلمونية المنتشرة على الساحل وفي الجزر، وهذه المدن شكل نشاطها الاقتصادي من خلال ركوب البحر والاستفادة من خيراته من صيد لأسماكها واستخراج ما فيه من لؤلؤ والمتاجرة به كسلعة مهمة العمود الفقري لوجودها، وبذلك نستطيع القول بأن الدلمونيين حولوا البحر المطلة عليه مدنهم إلى حلقة وصل حيث لم يشكل البحر عزلة وانقطاعاً لهم عن العالم الآخر.

المعابد الدلمونية المكتشفة في مملكة البحرين:

انطلاقاً من كون معابد المدن في الشرق الأدنى القديم تمثل مركز السلطة الدينية ذات الصفة السياسية والاقتصادية من خلال القائمين عليها؛ فإننا لا نستبعد أن تكون المعابد الدلمونية التي تم الكشف عنها في باربار وسار ودرار لعبت ذلك الدور القيادي في إدارة النشاط التجاري لدلمون بمشاريع تجارية واسعة النطاق سواء كان ذلك من خلال قدراتها وإمكاناتها الخاصة أو من خلال مشاريع مشتركة مع تجار دلمونيين مقيمين في أراضيها أو مقتربين بسبب ارتباطهم بالنشاط التجاري، وذلك من خلال القيام بتصدير منتجات حرفيها وخصوصاً اللؤلؤ واستيراد شحنات متنوعة من السلع الأساسية التي تحتاجها لشعبها أو التي تتعامل بها في التجارة الدولية كالنحاس مثلاً.

كما أن اختلاف أشكال معابد المدن الدلمونية المكتشفة في مملكة البحرين على الرغم من تزامنهما في فترة الإنشاء مؤشر لدينا على اختلاف الإدارة الدينية والسياسية للمدن الدلمونية. ووجود ظاهرة تعدد الديانات في دلمون، مما فرض على كل مجموعة

تابعة لتلك المدن إنشاء بيوت الآخرة والمعابد التابعة لها بشكل مختلف عن المجموعة الأخرى. ويوضح ذلك ما يأتي:

1- مجمع معابد باربار (لوحة ٤)، بني على شكل بيضاوي، ويعتقد بأنه خصص لعبادة الإله "أنكي" وزوجته الإلهة "نخرساك"، وهناك من الباحثين من يعتقد بأنه خصص لعبادة أبنهما الإله "أنزاك" وزوجته الإلهة "ننساكيلا" الذي عينه أبوه إلهًا لدلمون، على اعتبار أن من الرموز الدالة عليه نقشة سعة النخلة وذلك حسبما وضح من الدراسات التي تمت حول رموز الآلهة التي لها علاقة بهذا الإله ببلاد الرافدين، ولقد نقشت السعة وكما ذكرنا سابقًا على الحجر الذي عثر عليه الكابتن "ديوراندي" (Durand). وهناك قول آخر بأن معبد باربار خصص لعبادة إله الشمس "أوتو" السومري أو "شمش" الأكدي.

2- أما معبد مدينة سار (لوحة ٥)، فقد بني على شكل مستطيل، وكشفت البعثة البريطانية أسفل مستوى أرضية المعبد، عن معبد آخر، ولم تستطع التعرف على السبب وراء بناء المعبد الأخير. وترى بأن التصميم المعماري للمعبد قريب الشبه بمباني البيوت ذات الدور الواحد، التي كانت مستخدمة في مملكة البحرين خلال السنوات القليلة الماضية، حيث كانت تستخدم جذوع النخيل كدعائم لحمل السقوف، وتفرش فوقها حصائر الجريد التي تتم صباغتها فيما بعد^٩. ولقد أحتوى المعبد على مذبحين، أقيم فوق كل مذبح منهما شعار من الحجارة الممسوحة بالطين على هيئة شكل شبه دائري، وترى البعثة بأن هذا الشكل ربما كان يرمز إلى قرني الثور أو إلى الهلال، وهو الشعار الديني القديم خلال حضارة دلمون ويرمز للإله القمر^{١٠}.

3- أما معبد مدينة دراز، فقد بني على شكل مربع، ولم يتم حتى الآن التعرف على الإله المعبود فيه (لوحة ٦).

تلال المدافن الدلمونية:

قدر عدد تلال المدفن الدلمونية المنتشرة على أرض جزيرة البحرين وحدها بحوالي 85,000 تل (لوحة ٧). ولقد أوضح ما تم تنقيبه ودراسته منها بأنه بالرغم من تشابه أشكالها من الخارج وجود اختلاف في عمارتها على الرغم من تزامن فترة إنشائها،

^٩ كروفورد هاريت: الأختام الدلمونية المبكرة من سار، الفن والتجارة في العصر البرونزي في البحرين، ترجمة، علي محمد يعقوب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ص. 12 - 13.
^{١٠} كروفورد هاريت، روبرت كلوك، جين مون: "مستوطنة سار ودلمون المبكرة" البحرين الثقافية، العدد 15، السنة الرابعة، يناير 1998، ص. 72؛ وأيضًا: هاريت كروفورد: المرجع السابق، 2004، ص. ص. 11 - 12.

وهذا مؤشر على اختلاف المعتقدات الدينية لدى سكان المدن الدلمونية والتي انعكست على طرق إنشاء المدافن وطقوس الدفن^{١١}.

كما أوضحت أعمال الحفر والتنقيب في تلال المدافن الدلمونية جانباً من الأساليب التي اتبعت لحفظ جثامين الموتى والطقوس الخاصة بالدفن، وألقت الضوء على جانباً من مواد التقدّمات الجنائزية التي زودت بها المدافن. وأوضحت بأن الدلمونيين كانوا يجهزون الميت بدءاً بتغسيله وتطيبه حتى يكون طاهراً ونظيفاً منذ بدء دخوله إلى عالم الأموات الذي يؤدي بصاحبه إلى العالم الآخر، ثم يلبس أحسن ما عنده من ملابس، وتوضع عليه حلينته التي يملكها، ومنها القلائد المصنوعة من أحجار مختلفة والخواتم المصنوعة من البرونز والأصداف، وغيرها من قطع الحلي التي تؤكد مدى العناية التي بذلها الدلمونيون بالمظهر الخارجي (لوحة ٨).

وتشكل الأواني الفخارية التي اكتشفت في الغالب من تلال المدافن - كجزء رئيسي ومهم من مواد التقدّمات الجنائزية التي زودت بها المدافن - مؤشراً إلى احتمال احتوائها على مشروبات معدة ليستخدمها الميت ويأشر بها حياته في الخطوة الأولى من عالم البرزخ الذي يؤدي به إلى العالم الآخر، ولا نستبعد أن تكون بعض تلك المشروبات من عصير التمر أو الماء الذي ربما كان يحتوي وحسب اعتقادهم على روح الآلهة أو بركة الآلهة في جنة دلمون. كما أوضح التنقيب في بعض المدافن وجود بقايا لهياكل عظمية حيوانية ربما تكون لماعز أو خراف وضعت مع الأموات، وبالقرب من متناول يد الميت والتي ربما كانت معدة وجبة جاهزة للميت ضمن مواد التقدّمات الجنائزية الأخرى، وإذا كان هذا التصور صحيحاً فإن ذلك يعني بأن الدلمونيين اعتقدوا بعودة الروح للميت بعد دفنه مباشرة ولذلك كانوا يضعون معه الحاجات الأساسية التي يحتاجها بعد عودة الحياة إليه.

نتائج دراسة الهياكل العظمية:

على الرغم من كون ما يزيد على ستين في المائة من البقايا العظمية البشرية التي تم اكتشافها في تلال المدافن الدلمونية في مملكة البحرين تتكون فقط من كسر عظمية يصعب تمييزها أو ترميمها، خاصة تلك التي تعود إلى أفراد دون سن البلوغ، فقد استطعنا جمع معلومات كافية لوصف التكوين العضوي لأصحابها الذين عاشوا على جزر مملكة البحرين. إذ أوضحت الدراسة التي قمنا بها أن أعلى نسبة للوفاة بين الشباب البالغ حيث بلغت نسبتها 59%، تليها نسبة الوفاة بين حديثي الولادة حيث بلغت نسبتها 21%، تليها نسبة الوفاة بين كبار السن البالغين حيث بلغت نسبتها 6%، وتتبادل نسبة الوفاة بين الطفولة المبكرة ومرحلة المراهقة حيث بلغت النسبة في كل

^{١١} صويلح عبد العزيز علي: مملكة البحرين في الألف الثالث ق. م - تلال مدافن مدينة حمد، المطبعة الحكومية، مملكة البحرين، 2003، ص. 7.

منهما 5%، وأقل نسبة وجدت بين كبار السن من المتقدمين في العمر حيث بلغت نسبة الوفاة 4%^{١٢}.

وتعني تلك النسب أن سكان دلمون من الشباب البالغ من الجنسين كانوا أكثر عرضة للحوادث التي تسببت في هذه النسبة العالية من الوفاة، ربما بسبب الأعمال التي كانوا يمارسونها والتي من أهمها نشاط الصيد البحري والغوص للبحث عن محار اللؤلؤ بالنسبة للذكور أو حالات الموضوع (الولادة) المتعثرة وما يصاحبها من مشاكل تؤدي إلى الوفاة بالنسبة للإناث. كما نلاحظ أيضاً أن نسبة الوفاة بين الأطفال حديثي الولادة عالية وربما يرجع ذلك إلى ضعف المقاومة عند الأطفال دون سن الثالثة خاصة عند الإصابة بالأمراض القاتلة التي لا تترك أثراً على العظام؛ أو الوراثة حيث تم التعرف على عظام طفل مصاب بمرض وراثي وهو الثلاسيميا(لوحة ٩).

كما تم من خلال دراسة الهياكل العظمية التعرف على أشكال وأوصاف الدلمونيين والسلالة التي ينتمون إليها، فهم يتصفون بالرؤوس الطويلة والمتوسطة الارتفاع والوجوه الطويلة جداً والعيون الواسعة، كما أن أدنى طول للذكور هو 162,9 سم وأطولهم بلغ طوله 181,3 سم، أما معدل الطول بالنسبة للذكور فقد بلغ 173,9 سم، وبالنسبة للإناث فإن أدنى طول بلغ 150,3 سم وأطولهم كان 177,3 سم، أما معدل الطول بالنسبة للإناث فكان 165,9 سم. وهذه المعدلات للذكور والإناث تقع ضمن المعدلات المتعارف عليها والمعتمدة علمياً للجنس أو السلالة القوقازية. كما أن هذه المعدلات تبين بأنه لا يوجد بين السكان قصير القامة ولا الطويل جداً. ومن خلال هذا الوصف لأشكالهم وأطوالهم فقد تم تصنيفهم من حيث انتمائهم السلالي إلى المجموعة القوقازية التي تشمل سكان أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة البلقان والقوقاز وجنوب غرب آسيا حيث تقع مملكة البحرين ضمنها. إضافة إلى ذلك فإن صفات الأسنان من حيث شكل التاج والجذور تؤكد أيضاً على أنهم ينتمون إلى السلالة القوقازية. وتظهر الصفات الزنجية بشكل ضعيف بينهم، وربما يكون ذلك مؤشراً على وجود اتصال مع شعوب أفريقيا خلال الألف الثالث قبل الميلاد، ولكن وبشكل عام تطغي على السكان الصفات القوقازية والتي يمكن تصنيفهم من خلالها^{١٣}.

الأمراض المنتشرة بين الدلمونيين:

ولقد تم تشخيص بعض الحالات المرضية في الهياكل العظمية التي تعود للبالغين والرضع والأطفال الصغار، ومنها الكسور والتي دلت على أن نسبة من السكان كغيرهم كانوا يتعرضون للحوادث التي تؤدي إلى الكسور، وكانت تتم معالجتها بالطرق التقليدية القديمة(لوحة ١٠). كما تم التعرف على وجود حالات بسيطة للإصابة بالتهابات عظمة الركبة (الصابونة - Patella) وربما يكون سببها ممارسة

^{١٢} صويلح عبد العزيز علي: المرجع السابق، 2003، ص ص. 232 - 233.

^{١٣} صويلح عبد العزيز علي: المرجع السابق، 2003، ص ص. 233 - 234.

بعض الأعمال التي تستلزم الجلوس على الركبة في الأعمال اليومية لفترة طويلة. وتم التعرف في منطقة حواف بعض الفقرات على وجود أمراض المفاصل بنسبة قليلة سببها التقدم في العمر، مما يدل على أنهم لم يمارسوا الأعمال الشاقة التي تتطلب جهداً كبيراً (الوحدة ١١).

كذلك تم التعرف على وجود مرض التلاسيميا بين الدلمونيين، وربما يكون قد انتقل إليهم من بلاد وادي السند أو ربما يكون منشأ جين التلاسيميا الحضارة الدلمونية ذاتها. ومع كل تلك الاحتمالات ربما يكون منشأ جين التلاسيميا حصول طفرة وراثية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على اعتبار إنها شكلت جزءاً أساسياً من امتداد الرقعة الجغرافية للأراضي الدلمونية حيث ينتشر هذا المرض بنسبة عالية بين السكان في الوقت الحاضر، ومنها انتشرت إلى المدن الدلمونية في مملكة البحرين، حيث لعب الاتصال التجاري والتنقل البشري والذي لا نستبعد أن كان يتخلله شيء من التزاوج أو أي اتصال من ذلك النوع؛ ساهم في ذلك الدور بتسويق المرض ونشره لمناطق أخرى وصل إليها النشاط التجاري الدلموني.

ومن الأمراض الأخرى التي تم التعرف عليها ومنتشرة بين الدلمونيين في مملكة البحرين تآكل الأسنان والذي شكل نسبة طفيفة، أما التسوس فقد وصلت نسبته إلى حوالي 30 - 40%. ونرى بأن هذا التسوس ناتج أو منتجاتها (عسل التمر) ضمن إحدى الوجبات اليومية أو عند تحضيرها. حيث وجد التسوس على الأضراس وهي ظاهرة منتشرة في أوساط الجماعات البشرية القديمة والحديثة، ويعود ذلك إلى أن الأضراس تمتلك سطوح واسعة وثغرات أو أخاديد تتخمر فيها البكتيريا المسببة لجميع أنواع التسوس (لوحة ١٢). كما أن استخدام الأسنان كأدوات والاعتماد على بعض النشويات فإن الأسنان تتخلخل وتتسبب في أحداث آلام حادة مما اضطر هؤلاء الدلمونيين إلى خلعها في وقت مبكر من حياتهم وهذا الخلع المبكر أدى إلى التئام والتحام عظم الفك في مواقع الأسنان المخلوعة^{١٤}.

وعموماً يمكن القول إن سكان مملكة البحرين من الدلمونيين تميزوا بالبنية الجسمية الصلبة وبالعضام القوية الغليظة ذات الحجم الكبير، وكانوا يتمتعون بصحة وغذاء جيد وان حياتهم كانت ذات يسر وسهولة وليست بالقساوة التي كانت تسيطر على حياة الجماعات القديمة والتي عاشت في مناطق أخرى في نفس الفترة الزمنية، ويبدو ذلك جلياً من خلوص عظامهم من الأمراض الخطيرة (عدى مرض التلاسيميا) مثل الزهري والسل والجذام والسرطان والأمراض التي تترك بصماتها على العظام.

^{١٤} صويلح عبد العزيز علي: المرجع السابق، 2003، ص ص. 234 - 235.

الحرف والمهن التي مارسها الدلمونيين:

1- الغوص على اللؤلؤ:

شكل اللؤلؤ البحريني على طول التاريخ القديم وصولاً إلى الوقت الحاضر وحتى قبيل اكتشاف النفط في مناطق نفوذ حضارة دلمون في دول مجلس التعاون العربية وخصوصاً في مملكة البحرين - أحد أهم مراكزها - أهمية كبيرة في اقتصادها، إذ تفاخر ملوك وحكام بلاد الرافدين باستيرادهم واقتنائهم اللؤلؤ الدلموني. ومن الأهمية بمكان في هذا الصدد الإشارة إلى أن البعثة الدنمركية عثرت على كم هائل من أصداف المحار الحاضن للؤلؤ على الساحل الغربي لجزيرة البحرين في منطقة رأس الجزائر، وبعد أن تمت دراستها تم التوصل إلى قناة بأنها تعود إلى عهد الحضارة الدلمونية، إذ وجدت سوية مع كسر من الفخار الدلموني، وبناءً على هذا الاكتشاف فإن بقايا أصداف المحار تلك تعتبر شاهد على ممارسة الدلمونيين لحرفة الغوص لاستخراج اللؤلؤ في تلك الفترة.

إضافة إلى ذلك كشفت أعمال التنقيب في بيوت مدينة سار عن العثور على كميات كبيرة من أصداف محار اللؤلؤ وعينات مختلفة من أحجام اللؤلؤ^١ (لوحة ١٣). كما عثر أيضاً على مغرفة وملقط لفرز اللؤلؤ وهي تشابه ما كان يستخدمه تجار اللؤلؤ قبل اكتشاف النفط في مملكة البحرين (لوحة ١٤)، وهذه الاكتشافات تشير إلى ممارسة سكان المدينة لحرفة الغوص لاستخراج اللؤلؤ. وتؤكد في نفس الوقت، وبدون أدنى شك صحة ما جاء ذكره في السجلات التجارية المكتشفة في مدن بلاد الرافدين من إشارة إلى "عيون السمك" المستورد من دلمون إلى بلاد الرافدين، حيث كان اللؤلؤ من أهم السلع التي اشتهرت بها دلمون في التجارة الخارجية، و"عيون السمك" هو الاسم الذي أطلقتها الكتابات المسمارية على اللؤلؤ الدلموني والتي يعود تاريخ بعضها إلى حوالي 2500 ق.م.

2- زراعة النخيل:

الكثير من الكتابات المسمارية الرافدينية تحدثت عن التمر الدلموني على أنه كان يقدم على موائد الآلهة وكبار القوم على اعتبار أنه من أرض دلمون جنة السومريين وموطن الآلهة، كما أن اكتشافها يؤكد حقيقة كون مملكة البحرين وكما وصفت بلد المليون نخلة وذلك من منذ فترة حضارة دلمون على أقل تقدير. وكشفت فرق التنقيب العاملة في مملكة البحرين الكثير من الدلائل على أن الدلمونيين قاموا بزراعة أصناف مختلفة من النخيل وكان ثماره جيداً، وكان يبيعه والمتاجرة به يشكل مصدر من مصادرهم الخارجية للحصول على السلع التي يحتاجون إليها بأسلوب المقايضة والتبادل التجاري ومما يؤكد ذلك ما يأتي:

¹⁵KILLCK R . G.,: et al."London – Bahrain Archaeological Expedition(1990) Excavations at Sar",pp.1 – 24.

1- كشفت تنقيبات البعثة الدنمركية في موقع قلعة البحرين فيما أسمته بالمدينة الثالثة، عن مبنى مستطيل كبير الحجم بمخطط منتظم، بنيت جدرانه بأحجار مقطوعة بلغ سمكها متر، يتكون من فناء مركزي مستطيل يؤدي إلى 4 حجرات مربعة صغيرة على كل جانب. وكان المبنى مسقوفاً بعناية كبيرة حيث وجدت قطع من القار كانت مفروشة على حصر مصنوعة من سعف النخيل المجدول تشكل بقايا هذه الأسقف، وتشير إلى أهمية المبنى. وأوضح التنقيب بأن المبنى ليس للسكن كما أنه تعرض للحرق، حيث وجدت الجدران يعلوها السواد إلى ارتفاع ٤٠ سم من أرضية المبنى، ووجدت البعثة الأشياء المودعة فيه في أماكنها في قاع المبنى على شكل طبقة كربون مسود مترام على الأرضية، وفي حجرتين من المبنى عثرت على تمر كما أن الجزء الأكبر من المادة المحروقة يتكون من نوى التمر. ولقد قامت بعمل تحليل بواسطة كربون 14 المشع لتأريخ تلك المواد ومعرفة تأريخ المبنى من خلالها، وأوضح التحليل بأن المبنى أحرق في 1180 ق.م. وترى البعثة بأن كميات التمر المخزونة في المبنى مؤشر واضح حول غرضه، إذ ترى، بأنه لا بد وأنه كان مخزناً للتمر وربما كان مبنى تابعاً لأعمال أحد التجار. وترى بأن هذا الاكتشاف يؤكد الحقيقة، التي أشارت إليها وثيقتان من الوثائق المسمارية التي عثر عليها في مدينة (نفر) في بلاد الرافدين التي تعود إلى الفترة الكاشية، والتي ورد فيها أن دلمون كانت تصدر التمر في ذلك الوقت وأن تمر دلمون كان موضع تقدير في بابل^{١٦}.

2- كما عثرت البعثة البريطانية في الطبقات السفلى من أرضية معبد مدينة سار وبيوتها على أحجام مختلفة من نوى التمر وهي تدل على معرفة سكان المستوطنة زراعة النخيل، وأن التمور كانت تؤكل بكثرة. كما أوضح تنقيب المعبد بأن عملية تسقيفه استخدم فيها جذوع وجريد وسعف النخيل، حيث استخدمت بالترتيب جذوع النخيل ومن فوقها تم رص الجريد وبعد ذلك وضعت الحصر المصنوعة من سعف النخيل المجدول^{١٧}، ويدل هذا الاستخدام لأجزاء النخلة على أن زراعتها كانت وافرة في دلمون وكانت أجزائها تستخدم في عملية إنشاء وتعمير المدن الدلمونية (لوحة ١٥).

3- في إحدى الغرف الصغيرة، من البيوت التي نقبتها البعثة البريطانية في مدينة سار عثرت على كمية من نوى التمر المتفحمة، مما يدل على أنها استخدمت لمعالجة التمور، كما أن تحليلاً للجص المستخرج من نفس الغرفة أظهر أنه متشعب بعصير التمر "الدبس"^{١٨}، وهذا الاكتشاف يوضح بأن الدلمونيين قاموا بعصر التمر وتسويق

^{١٦} بيبي جيوفري، البحث عن دلمون: ترجمة أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، نيقوسيا، قبرص،

1405 هـ / 1985 م، ص ص. 435 - 437.

^{١٧} هاريت كروفورد: المرجع السابق، 2004، ص ص. 12 - 13.

^{١٨} هاريت كروفورد، وآخرون: المرجع السابق، 1998، ص. 13.

منتجاته في الأسواق المحلية والخارجية، كما لا نستبعد أنه شكل جزء من المواد الغذائية اليومية لدى الدلمونيين على أقل تقدير.

4- كما اكتشفت البعثة البريطانية في مدينة سار دليلاً على وجود نشاط زراعي مارسه سكان المستوطنة، من خلال عثورها على كميات من القمح والشعير والحنطة وبذرة كتان أيضاً. كما عثر على محراث من البرونز يشبه تماماً المحراث الذي يستخدمه المزارع والبناء في الوقت الحاضر ويسمى محلياً (صخين) (لوحة ١٤)، وعثر أيضاً على أعداد كثيرة من الطواحين الحجرية، ونعتقد بأنها ربما استخدمت في معالجة النباتات للاستهلاك البشري.

الصيد البري (القنص):

مارس سكان دلمون الصيد البري (القنص) كمصدر من مصادر الرزق وتوفير الغذاء، فلقد عثر في مدينة سار على بقايا عظام غزلان وسحالي وطيور من بينها طائر الحباري، كما عثر أيضاً على عظام لحيوانات أليفة منتشرة في مختلف طبقات التنقيب تعود لخراف وماعز، واكتشف من بينها عظاماً لحيوانات غير أليفة، وتم العثور أيضاً على الكثير من أدوات الصيد وهي عبارة عن رؤوس سهام وحراب من البرونز. ولقد أوضحت نقوش الأختام الدلمونية المكتشفة في بيوت المدينة مشاهد لقناصة راجعين من رحلة القنص يحملون أدوات الصيد بالإضافة إلى غزلان تم اصطيادها^{١٩}.

الصيد البحري:

أوضحت الكميات الكبيرة من عظام الأسماك التي عثر عليها في بيوت مدينة سار ومعبيدها، بأن اقتصادها يرجح سهولة الوصول إلى البحر، وأن سكانها مارسوا الصيد البحري، وتشير البعثة البريطانية إلى أن الأسماك كانت وافرة حول شواطئ مملكة البحرين خلال فترة حضارة دلمون، وأن السمك والمحار كانا أهم مصدرين في الحصول على المواد الغذائية البروتينية، فقد عثر على بقايا لها، تشمل كثيراً من الأنواع التي تعيش في المياه الضحلة والعميقة المحيطة بمملكة البحرين اليوم. ومن تلك الأسماك التي أمكن التعرف عليها سمك الهامور والصافي^{٢٠} - من الأسماك التي مازالت موجودة في مياه الخليج العربي -. كما عثر أيضاً على أحجام مختلفة من

^{١٩} هاريت كروفورد: المرجع السابق، 2004، ص ص. 10 - 11.

^{٢٠} هاريت كروفورد: الأختام الدلمونية المبكرة من سار، الفن والتجارة في العصر البرونزي في البحرين، ترجمة، علي محمد يعقوب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ص ص. 9 - 10؛ وأيضاً، هاريت كروفورد، وآخرون: المرجع السابق، 1998، ص. 12؛ وأيضاً، سار القديمة: نشرة سار الإعلامية رقم 1، إصدار بعثة لندن - البحرين الأثرية، دون تاريخ للنشر، ص. 4.

صنارات صيد السمك مصنوعة من البرونز تشبه تلك المستخدمة في وقتنا الحاضر، وهي تشير إلى وجود وسائل مختلفة لصيد الأسماك (لوحة ١٤).

ومن بين الأختام التي عثر عليها ختم يحوي نقش لأحد الصيدين يستخدم شبك لصيد الأسماك والذي يسمى محلياً سالية، كما لا نستبعد أن الدلمونيين أيضاً استفادوا من جريد النخيل لعمل مصائد للأسماك قريبة من السواحل تشبه " الحضرة المعروفة حالياً في دول الخليج" (لوحة ١٦).

استيراد وتصدير النحاس الخام والمصنع:

من الأنشطة الاقتصادية المهمة التي مارسها سكان مدن دلمون استيراد النحاس من سلطنة عمان (مركز حضارة مجان)، ومن ثم القيام بتصديره خام ومصنع، فقد عثر في موقع التنقيب بمملكة البحرين على ورش لصهر النحاس وتشكيله (لوحة ١٧)، وأشكال من السبائك النحاسية المعدة للتصدير (لوحة ١٨)، التي تؤكد بأن هناك نظاماً متفقاً عليه بين تجار النحاس في دلمون لتحديد حجم وشكل السبيكة النحاسية، كما تؤكد الأدوات والأواني والحلي النحاسية المكتشفة في المدن وتلال المدافن الدلمونية من جانب آخر بأن التعدين وصناعة الأدوات النحاسية كانت معروفة في المدن الدلمونية.

ولقد عثر على الكثير من أدوات الحرف التي مارسها الدلمونيون والتي صنعت من مادة النحاس والبرونز ومنها: أزاميل استخدمت لقطع وتشكيل الحجارة ومخارز ذات مقبض من العظم لنقش الأختام ومغرفة لؤلؤ وملقط لفرز حبات اللؤلؤ ومحراث الزراعة والبناء (الصخين) وصنارة صيد السمك (ميدار) (لوحة ١٤).

كما عثر على أسلحة بسيطة مصنوعة من النحاس والبرونز وتشتمل على رؤوس رماح وسكاكين وسيوف، وبساطتها مؤشر واضح على أن الدلمونيين كانوا من الشعوب المسالمة، كما ورد في نصوص أساطير بلاد الرافدين، وهي أيضاً بلاد السلام والأمان كما هي عليه الآن مملكة البحرين، وإن ما اكتشف منها استخدم لصيد والزينة (لوحة ١٩).

صناعة الأختام الدلمونية:

تشكل الأختام الدلمونية أهم تركة ثقافية اكتشفت في المدن والمعابد والمدافن الدلمونية بمملكة البحرين، وتوضح من خلال نقوشها جانباً من الحياة اليومية للدلمونيين ورموز عبادتهم وتأثرهم بفنون الحضارات الأخرى. ولقد صنعت من الحجر الصابوني، وتراوح قطرها ما بين نصف سنتيمتر إلى 2 سم، وذات شكل محدد، وهو عبارة عن ظهر محدب نصف كروي، ويقسم الظهر في الغالب منها خطان متوازيان أو ثلاثة خطوط، تقع على كل جانب منها وبشكل متقابل أربعة دوائر منقوطة في الوسط. ويخترق الختم في الوسط ثقب لتمرير الخيط الذي يحمل بواسطته

الختم، ووجه الختم مسطح، يحمل صوراً لكثير من الأشكال، التي نرى بأنها تعكس التطور الديني والصلوات الحضارية لدلمون خلال الفترة ما بين الألف الثالث قبل الميلاد إلى الألف الأول قبل الميلاد.

ولقد أوضحت دراسة الأختام الدلمونية التي تم الكشف عنها بأن أقدمها نقشت عليه صور لحيوانات؛ كالثيران والماعز الجبلي والغزلان والطيور والعقارب، إضافة إلى رسوم هندسية ونجوم وآثار أقدام (لوحة ٢٠). وفي فترة زمنية لاحقة، حدث تطور في طبيعة هذه الرسوم، تمثل في ظهور أختام تحوي رسوماً لرجال عراة، وغالباً ما يكونون مع ثيران وأشجار وأشكال أخرى. ونرى بأن ذلك يمثل بداية ظهور أول تصور لعالم الآلهة. ومن جانب آخر تأثير نقوش أختام الحضارات المجاورة كحضارات وادي الرافدين والسند وحضارة عيلام، التي بدت واضحة من الزي الذي يرتديه الرجال^{٢١}. كما أوضحت نقوش بعض الأختام الدلمونية الكثير من المهن التي مارسها الدلمونيين وأشكال السفن الدلمونية ووسائل النقل البري وحرفة السقاء وغيرها.

ولقد عثر على أعداد من الأختام الدلمونية في مدن حضارات وادي الرافدين والسند، التي لا تمت إلى مدن تلك الحضارات بصلة، وبقيت مسألة مصدرها بدون جواب شاف. إلا أن اكتشافها وبأعداد كبيرة في المواقع الأثرية العائدة لحضارة بمنطقة الخليج العربي. وبلغ عدد ما تم العثور عليه منها حالياً بمملكة البحرين أكثر من ألف ختم، وهذا الرقم يوضح بأنها صنعت في مملكة البحرين، وضمن تلك الدائرة الثقافية المحيطة بها. كما عثرت البعثة الدنمركية في موقع قلعة البحرين على العديد من الورش، التي اقتصت بإنتاج مئات منها، بالإضافة لذلك عثرت البعثة البريطانية على بعض أدوات صناعة الأختام ومنها: أزامل مصنوعة من البرونز استخدمت لقطع وتشكيل الحجارة، وإبر من البرونز ذات مقبض من العظم نعتقد بأنها استخدمت لنقش العناصر الفنية التي حوتها الأختام، وتشير تلك المكتشفات إلى أن مملكة البحرين هي الممول الأول لها، على اعتبار أنها تمثل المركز الرئيسي لحضارة دلمون (لوحة ١٤).

الكتابة والقراءة:

عرف الدلمونيين كتابة وقراءة الخط المسماري ويؤكد ذلك ما اكتشف من ألواح مسمارية في موقع قلعة البحرين، بالإضافة إلى اللوح الحجري الذي اكتشفه الكابتن ديوراند، وعدم اكتشاف كتابات كثيرة تشجع على احتمال أن يكونوا قد كتبوا على مواد لا تقاوم الزمن (لوحة ٢١).

^{٢١} جلوب. ب. ف. البحرين: البعثات الدنمركية في دلمون القديمة، ترجمة، محمد البدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003. ص ص. 118 - 119.

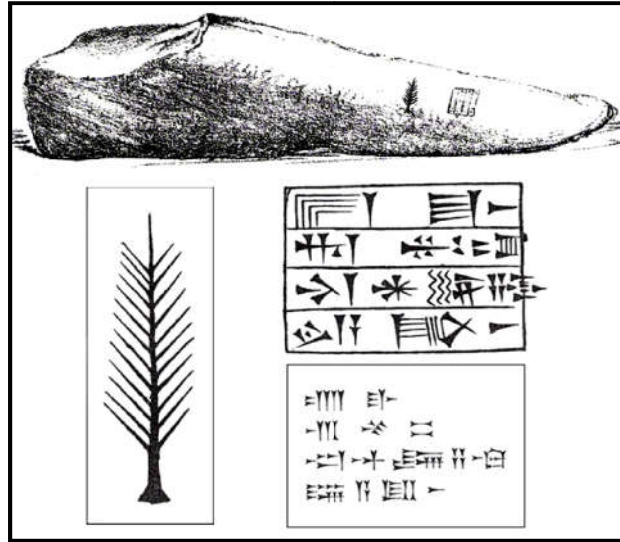
المراجع

- 1- آل ثاني هيا علي جاسم: الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ (صلات دلمون بأمورو وبالأموريين) 2050-1530 ق.م، مركز الكتاب للنشر - القاهرة، 1997.
- 2- الصفدي هشام وآخرون: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، 1988.
- 3- البدر سليمان سعدون: منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، مطبعة الحكومة، الكويت، 1974.
- 4- نجم محمد يوسف: الثقافة في البحرين في ثلاثة عقود مسح ثقافي شامل لدولة البحرين 1961 - 1991م، المطبعة الحكومية، البحرين، 1993.
- 5- الشال محمود النبوي وآخرون: التذوق وتاريخ الفن التشكيلي في العصور القديمة، وزارة الإعلام، دولة البحرين 1981.
- 6- كروفورد هاريت: الأختام الدلمونية المبكرة من سار، الفن والتجارة في العصر البرونزي في البحرين، ترجمة، علي محمد يعقوب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.
- 7- كروفورد هاريت، وآخرون: " مستوطنة سار ودلمون المبكرة " البحرين الثقافية، العدد 15، السنة الرابعة، يناير 1998.
- 8- بيبي جيوفري: البحث عن دلمون، ترجمة أحمد عبيدي، دلمون للنشر، نيقوسيا، قبرص، 1405هـ / 1985م.
- 9- سار القديمة: نشرة سار الإعلامية رقم 1، إصدار بعثة لندن - البحرين الأثرية، دون تاريخ للنشر.
- 10- جلوب. ب . ف: البحرين: البعثات الدنمركية في دلمون القديمة، ترجمة، محمد البدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
- 11- صويلح عبد العزيز علي: مملكة البحرين في الألف الثالث ق . م - تلال مدافن مدينة حمد، المطبعة الحكومية، مملكة البحرين، 2003.
- 12- Pliny, **Natural History**: Books I – IX translated by H. Rackham. London, 1938, and Books X – translated by J. Bostock, And H. T . Riley, London, 1855.
- 13- Dales: Marshall, G, in . Fairservis, W. J .
Ancient Cities of The Indus. Possehl, New Delhi, 1979
- 14- Killck . R . G.: "London – Bahrain Archaeological Expedition (1990) Excavations at Sar". Hojlund . F.: " The Ethnic Composition Of the Population Of Dilmon ", **Seminar for Arabian Studies**, Vol. 23, 1993.

قائمة اللوحات

- 1- حجر الكابتن ديوراندي.
- 2- الامتداد الجغرافي لحضارة دلمون.
- 3- موازين الحضارات المكتشفة.
- 4- مجمع معابد باربار.
- 5- معبد مدينة سار والشعار الديني ويرمز للإله القمر.
- 6- معبد مدينة دراز.
- 7- تلال المدفن الدلمونية.
- 8- مدفن دلموني.
- 9- جمجمة طفل مصاب بالثلاسيميا.
- 10- عظام عليها آثار كسور وتجبير.
- 11- فقرات عمود فقري مصابة بمرض المفاصل سببها التقدم في العمر.
- 12- حالات التسوس على الأسنان.
- 13- قرط من الذهب مطعم باللؤلؤ الدلموني.
- 14- أدوات مختلفة من النحاس لصناعة الأختام وصيد السمك ومحراث الزراعة ومغرفة لؤلؤ.
- 15- نوى التمر المكتشف في معبد سار.
- 16- ختم دلموني يحوي نقش لصيد السمك بالشبك.
- 17- ورش صهر النحاس.
- 18- سبائك نحاسية.
- 19- أسلحة مصنوعة من النحاس.
- 20- أختام دلمونية.
- 21- ألواح مسماري

لوحات البحث



لوحة (1) حجر الكابتن ديورند.



لوحة (2) خارطة توضح الامتداد الجغرافي لحدود حضارة دلمون.



* أوزان حضارة دلمون



* أوزان حضارة وادي السند



* أوزان حضارة بلاد الرافدين

لوحة (3) أوزان الحضارات



لوحة (4) مجمع معابد باربار.



لوحة (5) معبد مدينة سار والشعار الديني (رمز الإله القمر)



لوحة (6) معبد
مدينة دراز





لوحة (8) مدفن دلموني



لوحة (7) تلال المدافن الدلمونية.



لوحة (9) جمجمة طفل مصاب بالثلاسيميا.



لوحة (١٠) عظام عليها آثار الكسور والتجبير.



لوحة (11) فقرات عمود فقري مصابة بمرض المفاصل سببها التقدم في العمر.



لوحة (12) حالات التسوس على الأسنان.



لوحة (14) أدوات مختلفة من النحاس لصناعة الأختام وصيد السمك ومحراث الزراعة ومغرفة لؤلؤ



لوحة (13) قرط من الذهب مطعم بلؤلؤ دلموني

لوحة (15)
عينات من
نوى التمر
الدلموني

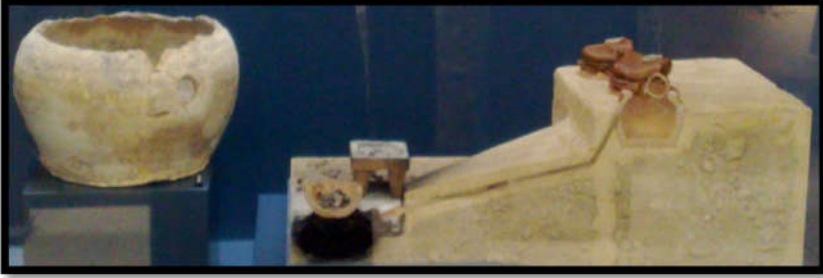




* ختم دلموني



لوحة (16) ختم دلموني يحوي نقش لصيد بالشبك



لوحة (17) ورش صهر النحاس



لوحة (18) سبائك نحاسية



لوحة (19) أسلحة مصنوعة من النحاس



لوحة (20) أختام دلمونية



لوحة (21) ألواح مسمارية